الايقاع الروائي في رواية النهايات لعبد الرحمن منيف

م. د. احمد عبدالله خلف
مدير معهد إعداد المعلمين / الحويجة

بِسْمِ اللهِ الرَحْمَنْ الرَحِيمْ

الملخص

والايقاع كما هو معروف له تأثير كبير على الانسان وهو ظاهرة معنوية تقوم اساساً على التناسق او التناسب في تشكيل الاشياء ، وهذا بشكل عام.

اما في مجال الرواية فأن دراسته تكشف عن عمق العلاقات بين الناس والاشياء، كيف تنشأ وتتشكل ثم تتغير، ويرصد حركة الاشياء الجامدة الثابتة واستجابة الانسان لهذا الوضع.

ففي رواية النهايات للروائي العربي عبدالرحمن منيف نجدها وكأنها منظومة متناسقة منسجمة فالايقاع يربط حركة الحدث والشخصية والمكان والزمان ويشكل عنصرآ مهما في الكشف عن رؤية النص ومصدرا لفهم الرواية على المستوى الفني والمضموني.

ففي رواية النهايات نجدها مكونة من علاقات منتظمة ايقاعية ترابطية ، تسير بأتجاه هدف الرواية النهائي، فالايقاع الروائي يجعلنا على مقربة من العالم الداخلي والخارجي للشخصية على حد سواء. وتأثير احدهما على الاخر، فالايقاع يعني انتظام النص بجميع اجزائه ويساعد على بناء نص مترابط وكأن الرواية تسير وفق قانون مرسوم وتناولنا في هذا البحث ايقاع الاحداث فضلا عن ايقاع الشخصية وايقاع المكان والزمان.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين على نعمائه وجزيل كرمه والصلاة والسلام على خير البرية محمد وعلى اله وصحبه افضل الصلاة والتسليم..

اما بعد:-

يعد الانسجام والانتظام في الدراسات السردية سلطة تمنح النص الادبي هيمنة على المتلقي وضمان تواصله مع النص.والايقاع هو السلطة التي تعطي للنص تلك الهيمنة وهذا التواصل. فكلما كان العمل الروائي منتظما ومنسجما في جوه العام- وكأنه وحدة متماسكة- ازدادت تلك السلطة وذلك التواصل.

والايقاع (**Rhythm**) مشتق من اليونانية بمعنى الحريات او التدفق والمقصود به عامة هو التواتر المتتابع بين حالتي الصوت والصمت او النور والظلام او الحركة اوالسكون والقوة والضعف اي انه يمثل العلاقة بين الجزء والجزء الاخر وبين الجزء وكل الاجزاء الاخرى للاثر الفني او الادبي.

فالايقاع بمثابة القاعدة التي يقوم عليها اي عمل من اعمال الادب والفن وهو خاصية اساسية مشتركة في كل الفنون ، فالايقاع الروائي يعني انتظام النص بجميع اجزائه في سياق كلي ويساعد على بناء نص مترابط مكون ترابط خفي بين اجزاء الرواية فالشخصيات كانها تسير وفق قانون مرسوم لها في الامكنة والازمنة المحددة لها ، ودراسة الايقاع تجعلنا على اطلاع ومقربة من العالم الداخلي والخارجي للشخصية على حد سواء وتاثير احدهما على الاخر مما يؤثر على توجية وسير الاحداث في الرواية ويجعلنا قادرين على متابعة التفاعل الجدلي بين الاحداث وعالمي الشخصية(الداخلي والخارجي)مما يؤدي في نهاية الامر ان تسير الرواية وفق هذا(الايقاع)وكانها تسير وفق قانون مرسوم بدقة الى ان تصل الى نهايتها.

فالايقاع يضبط حركة الحدث والمكان والزمان ويشكل الايقاع الروائي عنصراً مهما في الكشف عن رؤية النص ومصدرا لفهم الرواية على المستوى الفني المضموني ،ويعنى بشكل رئيسي بالاحداث من حيث وقوعها وتشكلها وتنظيمها في نسق معين ينسجم مع البنية العامة للرواية.هذا ما وجدناه في دراستنا لرواية النهايات للروائي العربي عبد الرحمن منيف.

فقد وجدناها مكونة من علاقات منتظمة ايقاعية ترابطية مابين الاحداث وعوالم الشخصيات والامكنة والازمنة حيث تم تشكيل علاقات دقيقة ومتواصلة ومبررة في الرواية حيث انها كلها تسير باتجاه هدف الرواية النهائي والوصول الى النهايات حيث هو العنوان الرئيسي للرواية والتي وصلت الاحداث والشخصيات بكل انسجام وانتظام الى تحقيق هدف الرواية ((النهايات))مما يجعل البناء الخفي للرواية محكما ومقنعا.

وقد قسمت هذا البحث الى ثلاث مباحث:-

المبحث الاول:- ايقاع الاحداث

المبحث الثاني:- ايقاع الشخصية

المبحث الثالث:- ايقاع الزمان والمكان

وختم البحث بخاتمة تناولت اهم ما توصل اليه الباحث من نتائج وثمة صعوبات واجهت الباحث اثناء البحث لعل من ابرزها قلة الدراسات في موضوع الايقاع الروائي.اذ لازالت دراسة الايقاع في الرواية العربية موضوعا لم يلتفت اليه اغلب الدارسين.

المبحث الاول : ايقاع الحدث

من خلال النظر في الدراسات يمكن القول ان الايقاع يفتقر الى تعريف دقيق لكن يمكن ان نجمل القول فيه بانه الانسجام التام بين الاشياء، ان دراسة الايقاع في الرواية تكشف عن عمق العلاقات بين الناس والاشياء كيف تتشكل هذه العلاقة ثم تتغير نتيجة تشابك(الاحداث)واندفاعها عبر حوار الشخصيات في ازمنة وامكنة الرواية. وكيف ان الاحداث تعمل عملها في تغير الشخصية سواء في مظهرها الخارجي او تعمل على تغير العالم الجواني للشخصية. ففي رواية النهايات يقود السرد الاحداث الى اتجاه واحد هو((النهايات))ويعادل هذه النهايات((الموت)) فالاحداث في الرواية تحدث في فضاء واسع منطلق لا حدود لا آفاق.

تبدأ الرواية بجملة مكثفة ((انه القحط)) فهو حدث كبير يوحي باشياء لاحصر لها. فالقحط يحدث دائماً في المناطق الصحراوية او شبه الصحراوية والمعتمدة على الامطار وتروى لنا الرواية بضمير((هو)) اي انه حدث((يتلازم فيه الزمان والمكان))ويشكلان احياناً فضاءاًمميزاً ينعكس على طبائع الشخوص مرتبطة بخصوصية ذلك الفضاء وبما ان الحدث بهذه الجسامة اذن لابد ان تظهر شخصيات تواكب هذا الحدث العظيم. وفي خضم هذا الصراع بين الاحداث والشخصيات وفي هذا الفضاء تسير الرواية.. تتغير طبائع البشر، تطغى الاحزان، نعرات الغضب ويدخل الخوف والحزن(القحط)في كل بيت والقحط:-احتباس المطر، والقحط الجدب لانه من اثره. وقحط المكان وقيل والقحط في كل شيء قلة خيره(١).

فالقحط يعني اولاً انعدام المطرفي زمان ما ومكان ما المكان حدده الراوي بفضاء واسع يوحي بكل مدينة عربية. فهي بداية الصحراء... من ناحية الشرق البساتين والنبع والسوق، وعند الافق تبدأ سلسلة الجبال، ومن ناحية الشمال والغرب تمتد سهول فسيحة، يتخللها بين مسافة واخرى بعض الهضاب، السهول تُزرع بانواع كثيرة من الحبوب..... اما من ناحية الجنوب فكانت الارض تشجب تدريجيا، وتخالطها الحجارة الكلسية.... وتتحول في بداية الافق الى كثبان رملية وبعد ذلك تبدأ الصحراء(٢)فالقحط هنا يعني اشياء مخيفة ومحزنة.

فايقاع الاحداث يمكن ان نرصده وفق الجدول الاتي:-

القحط ← الخوف ← الحزن ← شبح ← الموت(النهايات)

صحراء ← عواصف رمليةقلة الصيد ← الخوف، الحزن ← الموت

انعدام المطر ← قلق وخوف في الوجوه ← النهايات(الموت)

في موسم ← القحط يجيء الناس بهيئات مختلفة حتى الملابس ممزوجة وغريبة الاطوار. ففي بداية القحط ((حيث يبدأ النبع يتراخى والساقية تضمر ثم تجف يصبح المجرى مثل حية ماتت لتوها وبدات تتخلى عن قشرتها وفي هذه الاوقات تبدأ الاشجار بالذبول ثم الجفاف(٣).

فتكون البداية القحط ثم يتطور ليصل في نهاية الامر الى النهاية، كما موضح في الجدول الاتي:-

يتراخى النبع ← تضمر الساقية ← تذبل الاشجار ← النهايات

اما في الناحية الجنوبية من الطيبة؟؟ فنلاحظ انها في فترات النماء((يخرج فقع الكمأ والانواع الكثيرة من الفطر))لكن في فترة القحط نرى المنطقة الجنوبية وقد بدأت عواصف الرمال والغبار وافواج الذباب والغربان حتى الاصوات تتحول الى دوي مكتوم ينذر بشؤم ما..... حتى المجانين في سني القحط يصبح عددهم اكثر وفي هذه السني القاحطة حتى الرعاة يتحولون الى مهنة الصيد لكن هذه الايام القاسية يصبح لها رونق من نوع خاص والصعوبات التي عاشوها تتحول في الذاكرة الى بطولة غامضة، لكن الايام الزاهية نجدها في اذهان الكبار تلك الصورة البهية ؟؟للطيبة في تلك الازمان الخالية كانوا يتنفسون نفسا عميقا كانهم يتنفسون رائحة الخصوبة فتتولد من كل الكائنات من البشر والحيوانات وحتى الجماد(٤)

ففي اوقات القحط تصبح الصحراء مثل قدرٍ كبيرٍ لاترسل الا الغبار والموت لذلك يجب ان يكون اهل الطيبة اذكى من غيرهم فلا يقتلون كل شيء لكن بالرغم من الجوع المدمر فاهل الطيبة يختلفون عن غيرهم من الناس فالمجاعات في اماكن اخرى غير الطيبة تفرق بين الناس اما هنا فالمجاعات تجعلهم اسرة واحدة.

في سنوات القحط يتساوى الموت والحياة. ((فالموت والحياة في مثل هذه الظروف متساويان انظروا الى الارض والاشجار والدواب.. وانظروا في وجوه البشر ان كل شيء يموت))(٥) ويقودنا سرد الاحداث في الرواية الى اتجاه واحد((النهايات))او معادلها الموت ويمكن ان نجمل اهم الاحداث في الرواية:-

١-القحط.

٢- رحلة الصيد مع الغرباءالذين يجيئون من المدينة الى الطيبة ضيوفآ. ثم يبدأون رحلة الصيد بقصد التسلية وتعبيراً عن الوحشية الكامنة في داخلهم فهذه الاحداث تتحرك في خطوط متوازية فيها الوقائع والرموز واقع العودة الى الجذور ورمز الحياة والموت، وايقاع هذه الاحداث تسير دائماً في هذه الخطوط المتوازية ليلتحم مع الايقاع العام للرواية وهي النهايات. فالقحط

يسير ويسّير معه كل شيء الى هذه النهاية وصيد الاغنياء الذين يقتلهم الزهق والشبع سوف يصل في نهاية المطاف الى تلك النهاية(الموت).

٣- موت البطل، فقد مات ملتحماً برمال الصحراءمع كلبه في صورة انسانية رائعة وكما سيأتي تفصيله في ايقاع الشخصية ليصل الى النهاية (الموت وكما موضح ادناه:-

القحط ← النهاية

صيد الغرباء ← النهاية

موت البطل الملحمي ← النهاية

اما الحدث الذي يذكر هنا وهناك وهو (بناء السد) الذي لو كان موجوداً لاصبحت الطيبة في مأمن من الهلاك لكنه لم يبنَ وكأن السد يعني الحياة

بناء السد ← الحياة

فالطيبة هي التي تتشكل فيها الحياة البهيجة بحلول النماء (بوجود المطر)والطيب خلاف الخبيث ((ارض طيبة)) اي التي تصبح طيبة اذا كانت لينة ليست بشديدة(٦) لكن في جوفها تكون النهاية اي انها الرحم كما انها القبر لذلك نجد ان هناك ثنائية تكاد تغطي صفحات الرواية وهذه الثنائية هي الحياة والموت

والخصب والقحط والماضي والحاضر وحيثما يصف السارد اثار القحط فانه لايتحدث عن موسم بعينه وبما ان السارد يقدم لنا زماناً عاماً لذلك تبدو مواسم القحط متشابهة وتتفجر لدى الناس طاقات من الصبر والتحدي رغم الامراض التي تتحول الى كوابيس وهواجس..... فالصراع يحتدم بين الطبيعة والانسان(٧) فالكاتب يتخذ من الطبيعة معادلاً للحياة في شمولها واتساعها وتعدد جوانبها في نقائها ووحشيتها فالقحط الذي يحل بقرية (الطيبة)في مستواه الواقعي يظهر انقطاعاً للمطر وجفافاً في الارض يؤدي بالنبت ويجعل الانهار اخاديد متشققة جافة تجري فيها الرمال التي تجرفها الرياح الجافة.

(الطيبة) تمثل في وعي ابنائها ووجدانهم شيئاً خارقاً مليئاً بالقيم الانسانسة النبيلة لكننا ندرك ان قحط الطيبة مدمر لايشبه شيئاً حتى في القرى الاخرى فتمل الروح ويصيب

الوجدان الانساني جدب في مواجهة الموت الذي يظهر من كل مكان في ايام القحط(٨). حتى الطيور التي تجوب السماء باحثة عن رزقها تعبر الطيبة في ايام القحط محكومة بغريزة غامضة.. (فهي معركتها الازلية مع البشر وبقايا الحب وقطرات الماء)اما في الليلة العجيبة وهي الليلة التي مات فيها البطل الاسطوري (عساف)فقد سردت اكثر من عشر قصص بمضامين متعددة لكن الرابط بين هذه المضامين انها تسير باتجاه (النهايات)مما يولد انسجاماً رائعاً مع الايقاع العام للرواية.

فهي اصوات صغيرة وروافد بجانب الصوت الكبيرتؤكد ان مآل الاشياء الى النهايات وان الموت هوالحقيقة الواسعة الاحتمال لكل الاشياء وبتعبير(عبد الرحمن منيف)دواعي اتكائه على هذه التقنية بمقولته(كانت تستدعي في ذهني الف ليلة وليلة)واعتمدت في ليالي النهايات على هذاالمناخ، واستخدمت بعض المواد الذاتية وان الليالي والربط بين الاجزاء والانتقال من موضوع الى اخر ولكن ضمن وحدة داخلية وعضوية تربط الاحداث ببعضها من ناحية وتربطها بالحدث الكبير من ناحية اخرى))(٩) وقد اقتبس الكاتب نصين من نصوص الجاحظ من كتاب الحيوان من قصص(الليلةالعجيبة) وكلاالنصين يدوران حول الحيوان وينسجمان مع القصص القصيرة التي حكيت في تلك الليلةفي الايقاع العام للرواية الاان ابطال هذه القصص هي الحيوانات على عكس القصة الرئيسية(النهايات)فأن بطلهاعساف. لكن سيرالاحداث فيها جميعاً يلتقي في نهاية المطاف وهي النهايات (الموت).

عساف بطل الرواية ← النهايات

ابطال القصص الاخرى (الحيوانات) ← النهايات.

المبحث الثاني : ايقاع الشخصية

تعد الشخصية من ابرز الاشياء لدى تناول اي عمل ابداعي ففي النهايات نجد ان الراوي يلاحق الاحداث من الخارج في سرد موضوعي حيث استطاع منيف في تقديم الشخصية في سباتها الاجتماعي والتاريخي والثقافي ومنحها خصوصيتها النفسية والفكرية والسلوكية والجسدية مع ضمان انسجامها مع العناصر الفنية الاخرى(١٠) حيث تسلك مستويين، مستوىً

واقعي ومستوى رمزي وينجح الروائي في بناء العالم الرمزي وكذلك في رسم (عالم واقعي)يقنعنا بشبهه بالحياة او احتمال تحققه منها الا انه يوحي بدلالات غنية مثقلة بايحاءات يمكن ان تكون (رمزاً)(١١).

وعساف الشخصية الملحمية في الرواية هو ذلك ((الرجل الذي يعرفه اهل الطيبة كلهم نساءاً ورجالاً، كباراً وصغاراً هو نفسه عساف الذي يبدو غامضاً ومجهولاً بالنسبة للجميع وقلما يراه او يجلس معه احد منذ كان صغيراً شغلته قضية الصيد وهذه القضية كبرت عاماً بعد عام مادام عساف يكبر))ا(١٢) وحين ماتت امه تغيرت طباعه اكثر فبدل ان يصبح مثل الاخرين يزرع ويحصد ويستقر الا انه اشترى بندقية صيد من النوع القديم واصبح اكثر غرابة وهو الفتى في الثالثة عشره من عمره. ويقضي جل وقته خارج البلدة وحيداً يتنقل من واد الى اخر ومن مغارة الى اخرى. وها هو الان في العقد الخامس من عمره ضامراً لكنه قوي.. واسباب شتى يفسرون بها عدم زواجه(١٣) وعلى الرغم من غموضه وغرابة اطواره، فان اهل الطيبة قد تعودوا عليه ونتيجة الالفة والاستمرار لم يعد يثير تساؤلاً او استنكاراً ولكنه اثار اهتماهم عندما اقتنى ((كلباً)) فاصبح موضوعاً للتندر وتعددت الحكايات واتهموه بسرقة الكلب لكنه لايهتم ويكتفي بطبطبة ظهر كلبه بمودة(١٤) والشخصيات المتفردة تعتقد بامتلاكها اليقين لذلك فان عساف لا يلتفت الى اكاذيبهم فالكلب الذي حصل عليه كهدية من قبل بعض الغرباء بعد ان انقذ خمسة منهم وبعد ان اصبح عساف والكلب متلازمين فقد بدت صورة الاثنين وكأنها واحدة حتى اوجد الناس شبهاً كبيراً بينهم، على سبيل السخرية. اما حين ياتي القحط فتتحول السخرية الى اجلال وتقدير لانه وحده الذي يعرف الحقيقة ففي سنوات النماء عندما تكون النفوس هادئة منطلقة الى الامل في الغد الآتي في هذه السنوات يكون عساف على

اللسن الناس من باب التندر والسخرية.

ففي سنوات النماء

عساف مع كلبه ← سخرية واستهزاء

اما حين ياتي القحط

عساف مع كلبه ← احترام وتقدير ← يعرف الحقيقة

هنا يصبح عساف ((الامل)) فيعامل باحترام وتقدير وذلك لانه في عالمه الداخلي شيء غريب يحمل ((الحقيقة))فالعالم الداخلي للشخصية يؤثربشكل كبير على العالم الخارجي لها(١٥) ونلاحظ ذلك عندما ياتي القحط ويتغير كل شيء التفكير في الغد المليء بالخوف والفزع والبحث عن اي شيء للوصول الى الطمانينة والعيش بسلام هنا يصبح (الامل) فيعامل باحترام وتقدير وذلك لان في عالمه الداخلي شيئاً غريباً يحمل الحقيقة فانظار الناس دائما متجهة نحوه. الغرباء لا احد يستطيع ان يذهب معهم في رحلة الصيد سوى عساف ((المعادل المعنوي)) للقحط. ((الحقيقة ان العيوب والفضائل الانسانية المشهورة يمكن ان تتكرر في كل عصر))(١٦) فالشخصية كما لاحظها علم الجمال الواقعي هي ((انعكاس للواقع الموضوعي كمجموعة من العلاقات الاجتماعية))فضلاً عن هذا يرى ارسطو ان((كل شخصية يجب ان تكون قريبة من الحقيقة))(١٧) اما الصحراء فتعني الشعور بالامحدود، باللانهائي ودراسة الايقاع تكشف عن عمق العلاقة بين الناس والاشياء ، وترصد الوضع الانساني وحالة الوجود ماضيه ومستقبله.... فنجد ان عساف عندما يبدأ بالصيد وكان مع كل طلقة ينوي حتى قبل سقوط الطير ففي تلك اللحظة تتدفق افكار في رأسه فيقول((انت لام صبري)) وانت ((لداود الاعمى)) وانت ((لسعيد الذي لايتقن في هذه الدنيا سوى انجاب البنات))(١٨) وهكذا فهذا الحس الانساني الذي يتمتع به عساف والمدفون في اعماقه يُتكشف شيئاً فشيئاً مع الرواية. وهذا العالم الجواني ((الانساني لعساف))سيؤثر على ايقاع الاحداث في عالمه الخارجي، ويرى بوسلافسكي((ان كل الناس تعيش بايقاع ما وتتحول من حال الى حال، فلتكن معانيك وايقاع كلماتك استمرارا للصوت الداخلي لديك))(١٩) عساف الرجل الذي يعرفه اهل الطيبة كلهم..... وحين ماتت امه تغيرت طباعه اكثر من قبل فبدل ان يصبح مثل الاخرين يزرع ويحصد ويستقر فقد اشترى بندقية.

صيد..... وان اجزاء كبيرة من حياة عساف بعد ذلك مجهولة وحتى لواراد

هو نفسه ان يستعيد حياته فلا يتذكر الا الشيء القليل لايتذكر احداثاً كبيرة او هامة سوى تلك التي لها علاقة بالصيد، اين ضرب الذئب وكيف ضربه؟كم مرة اضطر

للنوم في المغارة خوفا من الموت برداً..... ويتذكر عدد المرات التي رفض ان يضرب اناث الحجل لانها كانت تسوق أمامها افراخها الصغيرة..... (٢٠) فايقاع حركة البطل ((عساف)) من الطيبة الى العالم الخارجي (الصحراء) والمبيت في المغارات ثم العودة الى الطيبة هذه الحركة تجسد رحلة المعاناة الداخلية التي تفرضها عليه الظروف المحيطة به وباهل الطيبة جميعاً الاوهو(القحط).

وهذا الايقاع المنتظم يرسم جزئيات الازمة التي يعيشها (عساف) في عالمه النفسي الممزق كما في المخطط الاتي:-

الطيبة ← الصحراء ← الطيبة ← الصحراء

(اغتراب وعدم استقرار)(عدم استقراروتعلم مهنةالصيد) (عدم استقرار موت والدته)(عدم استقرارالموت النهايات)

فالبطل يعاني من اغتراب وعدم استقراربين اهل الطيبة لما يتعرضون له من قحط وجوع فضلا عن ذلك الصيد الجائر الذي يمارسونه (صيد اناث الحجل).

يخرج عساف مع كلبه الى الفضاء اللامتناهي (الصحراء) ليتخلص من هذا الاغتراب وعدم الاستقرار والالم والاستهزاء به من قبل بعض اهل الطيبة. لكن في الصحراء، العواصف الرملية التي تملا العيون بالرمال وكانها الجمر، ثم قلة الاحياء التي يمكن ان يصطادوها فقد خلت مناطق واسعة من الصيد ، وكانها عقوبة للصيد الجائر الذي يحذر منه دائما ، فعساف نجده دائما غريب الاطوار. حتى الاحذية الجديدة التي يشتريها فقد يدخل عليها تعديلات تفسدها احياناً اما في ايام الاعياد فقد كان لايغير شيئا في مظهره كما تعود الناس ان يفعلوا و قد يبالغ فيلبس اسوأ ما في غرفته الصغيرة، وهي الغرفة الوحيدة التي بقيت له بعد ان باع البستان اول الامر. ثم باع بعد ذلك جُزءاً من الدار ولم يبقِ الا على الغرفة الداخلية وحاكورة صغيرة(٢١) نجد ان البطل يعيش في عالم خاص به في بيته الصغير في الطيبة بعد اقتنائهِ الكلب فهو ((لايثق الا بما يفعله ولايتأكد الا اذا فعل الشيء بنفسه))(٢٢) فخط

سير عساف على صعيد عالمه الخارجي خط واحد حياة الانسان (غير العادي) غير المستقر عبر كل الامكنة التي مر بها من البداية الى النهاية. فهذا الخط يمكن ان نمثله بالمخطط الاتي:-

الطيبة ← الصحراء ← الموت (النهايات)

اما خط سير عساف على صعيد عالمه الداخلي وايقاعه، فهو يحس لاشعوريا بالنهاية المأساوية ليس له وحده بل لكل ابناء الطيبة وذلك من خلال تحذيراته المتكررة من سنوات القحط والصيد غير المبرر. (لان السنة من بدايتها كانت تنذر بالقحط..... انتظروا. هذا ما اقوله وسوف ترون كل شيء بعيونكم والناس حين يسمعون هذا الكلام من عساف تتملكهم العصبية ويصبحون سريعي الغضب..... ومثلما توقع المسنون..... ومثلما قال عساف حصل كل شيء بعد ذلك!))(٢٣) اما بالنسبة لموت عساف (نهايته) كان منظراً فاجعاً مليئاً بالكآبة، حتى ان سقوط الدموع كان له رنين قوي موجع وكأنه نهاية لفترة طويلة من الزمان. (٢٤) واصبح عساف بعد موته يوصف باوصاف ذات قيمة عالية((ابو الفقراء))(٢٥) لذلك يمكن تقييم شخصية البطل (عساف) من خلال علاقتها بالعالم الخارجي اي ان الاختلاف يتضح من ملامح الشخصية من مواءمتها او تعارضها مع حولها وبشكل يتفق مع تطور الشخصية(٢٦) وتوصلوا اهل الطيبة بموت عساف الى نتيجة مهمة وهي ان يتم تنفيذ الوعود السابقة والتحرك لبناء السد لان انتظار المطر يعني الموت اما في الليلة العجيبة. وبعد كل القصص التي رويت تصبح جثة عساف مثل الطوفان فموت عساف غيّر اشياء كثيرة في العالم الداخلي لاهل الطيبة فقد((اصبحوا بشرا يستحقون الحياة))(٢٧)

موت عساف ← بناء السد

النهاية البداية من جديد

ونجد ان شخصية عساف تتمتع (بالعزلة) نسبيا وتكون هذه العزلة نتيجة عدم توافق الشخصية مع الوسط الاجتماعي ونجد ان المعنى اللغوي (العسف) هو السير بغير هداية والاخذ على غير الطريق(يقال اعتسف الطريق اعتسافا اذا قطعه دون صواب والتعسف ركوب المفازة وقطعها بغير قصد ولا هداية)(٢٨) ولاشك ان البناء المحكم للعالم الخارجي هو في

الوقت نفسه بناء لعالم الشخصية الداخلي فعندما نتتبع رحلة عساف مع الضيوف للصيد في مناطق بعيدة للصيد نجد ان ذلك الغموض لايغادره البتة فعساف ذلك الصياد الغامض (المجنون)والذي ينظر اليه معظم اهل الطيبة بسخرية مصطحباً كلبه الذي فقد احدى عينيه لكنه يتمتع بوفاء نادر وافضل من كثير من البشر. وقد تبين هذا الترابط الغريزي بين عساف وكلبه عند موته من جراء تلك العاصفة المدمرة دفن جزء من جسم عساف في الرمال وبقي راسه وبدأت الطيور الجارحة تريد الانقضاض عليه لتهشمه لكن الكلب ظل يدافع عنه وفي نهاية المطاف وعندما لم يستطع ان يفعل شيء رقد فوق راس عساف لحمايته مضحيا بنفسه في صورة ملحمية نادرة تصل الى التلاحم الروحي والجسدي بين الكلب وعساف ولايمكن لاي انسان ان يفعل مثل ما فعل هذا الكلب. مفضلاً الموت على الحياة والدفاع باخر ما يملك وهو جسمه الطري!!!

فحركة(عساف) الذي ينتمي الى الصحراء يجد فيها حياته ويتشكل وجدانه الانساني من نقاء الطبيعة الذي يقدس الحياة..... وهذه الصحراء نفسها تكون سببا اساسيا في (موته) نهايته

الصحراء ← موت	عساف ← عساف
↓ ↓	↓ ↓
حياة نهاية	(حياته) (موته، نهايته)
	الصحراء الصحراء

فهي تشخص كياناً نابضاً بالمودة حيناً وبالكراهة والعنف والخوف احياناً والنهاية تكون فيها. يقول باختين ((ان الزمكان هو الذي يوفر تماما الارضية الضرورية لاظهار القدرة على تجسيد الاحداث))(٢٩).

المبحث الثالث : ايقاع الزمان والمكان

بما ان الرواية ((هي فن زمني يلتقي في هذا مع الموسيقى عامة والموسيقى السيمفونية خاصة))(٣٠) لذلك فان تقنية الزمن من اهم التقنيات التي تؤثر مباشرة في البنية العامة للرواية وهي التي تحكم الازمنة المتغيرة في نطاق رؤية الراوي العامة وبها تتمكن الرواية من الاستجابة لهذه الرؤية في نهاية الامر.

اما بالنسبة للمكان فمن المعروف ان قيمة الرواية تتحقق من علاقة الشخصية النسبية مع الامكنة التي ترتادها. وفي رواية النهايات نجد ان عدد الامكنة قليل نسبياً لكنها امكنة يمكن ان نسميها امكنة مفتوحة(الطيبة، الصحراء) لذلك تصبح علاقة الشخصية متطورة مع الماضي و(الاسلاف). اما بالنسبة للمستقبل فهي علاقة الحذر والخوف والترقب. فالامكنة بالرغم من الفتها الا انها في الغالب لاتوحي بالطمأنينة فالشخصيات في الرواية عامةً و(عساف) خاصة في بحث دائم عن الطمأنينة المفقودة. حتى البناء الاجتماعي المتميز في القرية(الطيبة)لايكون هذا البناء الاجتماعي موحيا بالطمأنينة. وذلك للخوف الدائم والترقب مما هو آت.

في رواية النهايات يهيمن المكان والزمان على الشخصيات لكي تسير كلها(الاحداث والشخصيات والامكنة والازمنة)الى طريق واحد((النهايات))حتى الطيبة وبكل ماتحمل من المعاني في هذه اللفظة الموحية(الطيبة) الحية غيرالميتة الا انها عند اعتمادها على المطر بدون السد سوف تنهار في النهاية(الموت)

ويمكن ان نرصد مآل الاشياء الى النهايات وفق ايقاع الرواية العامة كما في المخطط الروائي:-

القحط ← النهايات

الصحراء ← النهايات

انعدام المطر ← النهايات

الطيبة بدون السد ← النهايات

الصيد الجائر ← النهايات

وبالتالي فان الشخصيات التي تواكب الايقاع العام للرواية سوف تنتهي

عساف ← النهايات

في رواية النهايات يبني منيف جزءاً من روايته على الوصف والتصوير اللذين يتكفلان بتحليل الاشياء والاماكن والنفوس فيصف المناخات والحيوانات ويرصد ردود الافعال لذلك نحس تباطؤ السرد بالمعنى الحرفي. ويلجا السارد الى تحليل النفوس وطبائع الناس من خلال رصد الاشياء والموجودات وقياس ردود الافعال تجاه هذه الاشياء ليعيش المرء عندئذ زمنا نفسيا يقاس بمدى نمو الانسان وتفاعله مع الزمن التاريخي فالزمن في الرواية لم يحدد تحديدا دقيقا بل ان(زمن القحط)يحدث في مواسم انعدام المطر(٣١). فالطيبة تربطها روابط كبيرة بالزمن فهي عندما ياتي المطر ياتي الخيرويبدأ الناس بالاحساس بالاشياء وخلق روابط وشيجة مع هذه الاشياء فنجد ان موسم المطر تكون الطيبة حية اما في القحط فتكون ميتة ويتبدل كل شيء

في مواسم النماء ← الطيبة(حية)

في مواسم القحط ← الطيبة (ميتة)

فنجد ان الصحراء فيها نجاة الانسان (الصيد)وفي الوقت نفسه فيها نهايته (الموت)اذن للزمن دورٌ مهمٌ في تشكيل اناس الطيبة ففي موسم النماء تزخر الطيبة بانواع الكما والفطر والخير الكثير مما يوحي بأنها في ابهى حلة اما في موسم القحط فالانهار تجف والرمال تزحف معلنة عن قرب الهجوم المميت على اهل الطيبة. وهذا ماحصل بموت عساف وكلبه في احشاء الصحراء عندما ماتا في شبه التحام(بين الانسان والحيوان والمكان والزمان)والذي اصبح في موتهما وما تبع ذلك في جنازة عساف وسيلة تطهيرجماعية وتعبيرا عن ندم عميق واصبح هذا اليوم(الزمن الذي دفن فيه عساف)بداية مستقبل جديد مشرق تمثل في الزحف الى المدينة للمطالبة جديا ببناء السد الذي يكون مصدرا للحياة والسعادة بعد التضحية والموت. اي ان الناس بموت عساف اصبحوا يملكون الارادة للتحدي حمل السلاح او جلب البلدوزر

كما يقول المختار ((لن اعود الى الطيبة مرة اخرى الا لاحمل بندقية وابقى في الجبل ومن هناك ومع الاخرين سوف نعمل شيئا كثيرا غير الصيد ، اما اذا وافقوا على بناء السد فسوف اعود على ظهر بلدوزر لكي يبدأ العمل ولكي تبدأ الطيبة الطيبة تعرف معنى الحياة بدل هذا الموت الذي نعيشه كل يوم)) (٣٢)

ويمكن ان نرصد ايقاع الزمن كما في المخطط الآتي:-

الماضي ← الحاضر ← المستقبل

↓ ↓ ↓

التضحية ← الموت ← الامل

↓ ↓ ↓

(الخوف) ← (موت عساف) ← (بناء السد)

الاماكن كما يقول((شولز))((اهداف وبؤر فيها تمارس الاحداث ذات المعنى لوجودنا))(٣٣) فيمكن ان نلاحظ ان الامكنة تصبح ضيقة خانقة. حتى الامكنة التي كانت يوما امكنة مفتوحة مليئة بالحيوية والاطمئنان فيشعر الانسان الموجود في هذه الامكنة بالنهاية المحتومة هذا وصف مانجده في المكان المسجى فيه عساف (غرفة المختار)((تلك الغرفة صحيح انها غرفة واسعة تدل على ان المختار كان يملك شيئا ذات يوم لكن الاهمال الذي بدا في الكثير من المظاهر ثم الغبار الذي تعشق الغرفة حتى اصبح جزءا منها والفوضى الظاهرة في كل شيء، مع قليل من القذارة الجديدة ان هذه الامور تجعل النفس ضيقا وتبعث شعورا قويا بالانتهاء))(٣٤)

المكان في النهايات يفرض نفسه ذاتيا فللمكان حضور قوي فعال كعنصر اساسي من عناصر بناء النص ويمنحه خصوصية متميزة وخصوصية المكان هي خصوصية النص نفسه خصوصية ابداعية وليست خصوصية جغرافية بالرغم انها توهمنا في بعض الاحيان بحقيقة الامكنة اي انه اذ تلاشى المكان تلاشى النص واذا تلاشى النص تلاشى المكان(٣٥) فضلاًعن ان زمن الكتابة يختلف عن زمن النص فان مكان النص يختلف عن مكان كتابته فالمكان يتفاعل مع العناصر المولدة للنص الابداعي مثل الزمن والشخوص والاحداث ولايمكن التعامل معه

على حدة وفصله عن تلك العناصر وذلك لان المكان يتشكل داخل النص وفقا لضرورة بنائه يتسع، يضيق، يكبر، يصغر..... فضلا عن ذلك ان ارتباط المكان بالزمن خاصة ارتباطا متلازما فالامكنة تفضي الى ازمنتها الخاصة لها والازمنة تقودنا الى اماكنها المعاصرة لها فالمكان في النهايات يعد مكانا مفتوحا كما ذكرنا سابقا فالطيبة والصحراء نجدها ملئى بالازهار والرائحة الزكية في فصل النماء بوجود الامطار الا ان هذا المكان يتحول الى مكان ضيق بالرغم من اتساعه سواء في القرية(الطيبة او الصحراء الشاسعة يتحول الى مكان خانق((فالصحراء الغامضة القاسية الموحشة المفاجئة تتجاوز قوانين الطبيعة لتثبت قوانينها الخاصة... فلم تمض ساعة حتى جنت الدنيا هبت ريح قوية عاصفة غيرت كل شيء كانت الزوابع تدفع الكثبان الرملية وتسفها كما تفعل الرياح بالامواج فتتدحرج الرمال بسرعة كما انها كتل من القش الهش او بقايا اوراق محترقة، حتى ان الانسان ما ان يستدير قليلا ليتقي هذا الجنون المفاجيء حتى يمتلئ حلقه وتمتلئ عيناه بذلك الجمر الصغير الناعم وكانه سقط من نار لاتعرف التوقف او الانطفاء..... فالخوف الذي ملا الدنيا خلال تلك الساعات كان من القوة والذهول الى درجة ان لااحد يستطيع ان يتذكر ما حصل....))(٣٦).

فالايقاع في الرواية يرصد ويشكل عالم الامكنة والازمنة والاحداث في حركتها وتغيرها ويحاول ان يرسم الخطوط الايقاعية المنظمة فيما بينها والتي تشكل الرواية ومعمارها. فنجد ان (المكان)الصحراء تقوم بثورتها الجبارة وعواصفها الهائلة لتؤثر في وعي الشخوص مما يؤثر على سير الاحداث في النهاية، وكما ذكرنا سابقا فالحدث الرئيسيي الذي تتجاذب الامكنة والازمنة لتشكله وهو القحط وبنفس الوقت ترصد تاثير هذا القحط على الامكنة والازمنة والشخوص في ايقاع متناسق يؤدي في نهاية المطاف الى جر الاحداث الى نهاية محتومة ((هي الموت))اننا نجد تناسقا واضحا بين القحط وثورة المكان في زمن ما لجرالشخصيات وخاصة (الشخصية الرئيسة)عساف الى (النهايات)

وكما يمكن ان نلاحظ في المخطط الاتي:-

الصحراء ← زمن القحط ← عساف ← الموت (النهايات)

ان تجربة الزمان وتصوره يختلفان من فرد الى اخر من حدث الى حدث(٣٧) فنجد ان ايقاع الزمان في عالم عساف النفسي بين الماضي والحاضر والمستقبل وكما موضح في المخطط الآتي:-

الماضي	الحاضر	المستقبل
↓	↓	↓
(الغموض)	(الخوف والتحذيرمما سياتي)	(النهاية الموت)

فهو كان دائما يحذر الجميع من هذا المستقبل ((هذا الجنون الذي يملا عقولكم لابد ان يقضي على الصيد كله وبكلمات قاسية..... الايام الصعبة لم تات بعد..... وعلينا ان نستعد لتلك الايام!))(٣٨)

فالمكان مع الزمان يكونان المساحة الخاصة بالنص الابداعي.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث وبعد ان اعاننا الله على اتمامه يمكن ان نجمل اهم ما توصل اليه من نتائج:-

١- دراسة الايقاع مهمة جداً لفهم النص الروائي فنياً وموضوعياً.

٢- الايقاع الروائي يجعل العمل الفني (الروائي) منسق ومنسجم بحيث يؤلف وحدة مترابطة.

٣- يكشف الايقاع الروائي العلاقات بين الناس والاشياء في العمل الروائي.

٤- الايقاع الروائي في رواية (النهايات) كان ايقاعاً متميزاً بحيث وصلت الاحداث والامكنة والازمنة والشخصية الرئيسية الى نهايتها وهو يناغم العنوان الرئيسي للرواية.

٥- من الدراسة وجدنا ان الكاتب عبدالرحمن منيف قد وفق في دفع الاحداث الى نهايتها التي رسمها لهذه الرواية فضلاً عن ذلك هناك قصص قد رويت في الرواية في((الليلة

العجيبة)) هي الاخرى انضوت تحت الايقاع العام للرواية مما ادى الى نشوء انسجام جميل بين احداث هذه القصص واحداث الرواية الرئيسية.

٦- ايقاع الاحداث كان هو المسيطر في جو الرواية وموجهاً العناصر الاخرى لتتفاعل معه، مما ادى الى شعور القارئ بمتعة عند قراءة الرواية.

هوامش البحث:

١- لسان العرب، ابن منظور، دار الحديث، القاهرة٢٠٠٣، مج٧: ٢٥١.

٢- رواية النهايات عبدالرحمن منيف، منشورات دار الاداب بيروت ط٢، ١٩٨٠: ١٦.

٣- الرواية: ٢٣.

٤- الرواية:١٨.

٥- الرواية:٥٢.

٦- لسان العرب، ابن منظور، ٥: ٦٧٥.

٧- ينظر الانسان والطبيعة في رواية ((النهايات لعبد الرحمن منيف جدلية العلاقة وشعّرية الوصف، محمد علي شوابكة، مجلة المنارة مج٤/ع٣/١٩٩٩: ٣١٣.

٨- ينظر الشخصية الروائية وبناء الرواية المفتوحة، كريم مهدي المسعودي مجلة الاداب والعلوم، ليبيا، جامعة قار يونس ع١/١٩٧٣: ٢٣٢.

٩- عبد الرحمن منيف الكاتب والمنفى نقلاً عن مجلةالبحرين الثقافية ع١٨: ٨١.

١٠- ينظر تقنيات تقديم الشخصية في الرواية العراقية دراسة فنية، اثير عادل شواني، دار الشؤون الثقافية، بغداد ط١ ٢٠٠٩: ٧٣.

١١- المصدر السابق: ٧٣.

١٢- الرواية: ٢٨.

١٣- الرواية: ٢٨.

١٤- الرواية: ٣٢.

١٥- ينظر في الايقاع الروائي نحو فهم جديد في دراسة البيئة الروائية، د. احمد الزغبي، دار الامل ط١/١٩٨٦

١٦- نظرية الدراما سنيثيا بانوشا ترجمة نور الدين فارس، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١/٢٠٠٩: ٩٣.

١٧- المصدر السابق: ١١٦.

١٨- الرواية: ٤٠.

١٩- Raskin archiclas نقلاً عن((الايقاع الروائي نحو فهم جديد في دراسة البنية الروائية)): ٤١.

٢٠- الرواية: ٢٩.

٢١- الرواية: ٣٠.

٢٢- الرواية: ٣١.

٢٣- الرواية: ٣٩.

٢٤- الرواية: ٨٩.

٢٥- الرواية ٩١.

٢٦- ينظر ((بين استقرار الامكنة وارتحال الشخصية))د. مهند يونس مجلة الاقلام ٤/٣/٢٠٠٠ دار الشؤون الثقافية العامة بغداد: ٤٠.

٢٧- الرواية: ١٧٠.

٢٨- لسان العرب، ابن منظور ٦/٢٤٩.

٢٩- باختين والزمان السردي الحديث، ترجمة د. محمد درويش مجلة الاقلام دار الشؤون الثقافية العامة بغدا ع٦/١٩٩٩: ٣٧.

٣٠- في الايقاع الروائي نحو منهج جديد في دراسة البنية الروائية د. احمد الزعبي: ٦٣.

٣١- ينظر الانسان والطبيعة في رواية ((النهايات)) لعبد الرحمن منيف جدلية العلاقة وشعرية الوصف، محمد علي شوايكة:٣١ ، ٣١٥

٣٢-الرواية:١٨٣

٣٣- المكان نصاً مفتوحاً، باسم عبد الحميد حمودي، مجلة الرواد، بغداد، ع١/١٩٩٩:ص٣٩

٣٤- الرواية:١٧٣

٣٥- المكان وجغرافية النص، محمد المسلاتي:١٢٣

٣٦- الرواية:٨١

٣٧- باختين والزنم السردي الحديث، ترجمة د. محمد درويش:ص٣٦

٣٨- الرواية:٦٤

Abstract

Rhythm is considered one of the oldest technical factor which was discovered by human beings .

So, as it is knwon, rytham is something concrete, therefore, we can find its effect greatly human .

It is phonomena which is baiscally based on coordination in forming things .As for the scope of novel, its study reveals the deepness of relations between human and things.

How does this relation forming itself and how does it change up. the rhythm observe the movment of permanent things and the response of human to this situation .

We can find in the novel of the arab novelist Abdul Rahman Moneef ((the ends))we find her asif coordinated system, the rhythm connects the movement of act, personallity place and time, and the

important factor in discovering the scene of text and a resouce to understand the novel

In the internal and external levels when we studied this novel, we found it cosisting of organized, correlative and rhymed relations, going on the direction of the aim of the novel, the rhythm of the novel make us very near to the internal and external world of personality and the effect on each other .rhythm means the organizing of text with all parts , this help to build tied text as if the novel passes acording to drawn law .

We took also, in this research the rhythm of events in adition to personality, place, time rhythms .